مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: من مظاهر الحكم بالغلط عند المبرد في كتابه "المقتضب"
اسم الكاتب: سيف الدين طه الفقراء
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/8877
تاريخ الاسترداد: 2026/04/11 14:33 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
ملتقى الحضارات

مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد 12 ، العدد 2

ربيع الأول 1437 هـ / ديسمبر 2015 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

□□□□□□□ □□□□.indd 1 3/6/16 11:45 AM

من مظاهر الحكم بالغلط عند المبرِّد في كتابه (المقتضب)

سيف الدين طه الفقراء

كلية الآداب - جامعة مؤتة
الكرك - الأردن

تاريخ الاستلام 2014-06-05 **تاريخ القبول 2014-11-06**

ملخص البحث

يدرس هذا البحث بعض المسائل التي حكم المبرِّد بالغلط أو الخطأ عليها في كتابه (المقتضب)، ودرستُ فيه مفهوم الغلط والخطأ في الدَّرس اللُّغوي، ثمَّ مظاهر الغلط قبل المبرِّد من خلال كتاب (العين) للخليل، وكتاب سيبويه، وبعد ذلك تناولت مظاهر الحمل على الغلط عند المبرِّد ممثَّلة في تغليط العلماء، وتغليط الاستعمال اللُّغوي، واللَّهجات، وتغليط التوجيهات النّحويّة، والتغليط التعليمي القياسي الذي يصحح فيه المبرِّد الأداء اللُّغوي، وبيَّن البحث أنَّ الحمل على الغلط منهج في النَّقد اللُّغوي يبرز شخصيّة العالم، ومظهر من مظاهر معياريّة القاعدة والقياس النّحويّ الصارم.

الكلمات الدالة: المبرد، الغلط، الخطأ، المقتضب.

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 27 3/6/16 11:44 AM

مقدمة :

الحكم بالغلط واحد من الأحكام التقويميّة في النحو العربيّ بدأ مبكراً مع نشأة النحو العربيّ، فهذا الخليل يحكم بالغلط على استعمالات لغويّة، ولهجات عربيّة فصيحة، منطلقاً من مقاييس لغوية صارمة أحاطت بمنهجه في التّقعيد، والقول نفسه مع سيبويه الذي كانت عنده الأحكام بالغلط والخطأ، وما يرادفهما من مصطلحات أضعاف ما ذكره الخليل ، ومنطلقه في ذلك القياس النّحويّ الذي بنى عليه قواعد كتابه، وهو يروم تقويم الألسنة وتنقيح الاستعمالات.

وعندما نصل إلى المبرّد ينحو التّغليط منحىً واضحاً فيما عُرف بمسائل الغلط التي شاع بعضها في كتاب المبرّد، وهو ينقد سيبويه، وتأصل التغليط في مسائل الغلط المشهورة، وفق منهج يقوم على ذكر كلام سيبويه ثمّ ينقده بقوله: «وقال محمّد بن يزيد»، وينتقد المبرّدُ سيبويه في الإعراب، والرواية والشواهد. وهذه مسألة فصّل القول فيها عبدالخالق عضيمة (1386هـ) في مقدمة تحقيق (المقتضب: ص96-98 من مقدمة المحقق).

لقد أثار هذا النقد حفيظة ابن ولاّد المتوفى سنة 332هـ في رسالته (الانتصار لسيبويه على المبرّد) التي فنّد فيها ابن ولاّد اعتراضات المبرّد؛ وبيّن ما حُمل على المبرّد نفسه من أغلاط، وأحياناً كان يؤيّد المبرد إذا وجد في كلامه وجهاً للحق، فأرسى بذلك دعائم المنهج في الاعتراضات النّحويّة شكّلت فيما بعد ملمحاً بارزاً في الدّرس النّحويّ ومناهج النّقد اللغويّ. ابن ولاّد (1416هـ/1996م) (الانتصار لسيبويه على المبرّد، ص56 ، 57، 93-95 ، 206-207).

ولعلّ المبرّد تأثر بغيره ممّن تعقبوا سيبويه في البحث عن هفواته اللغويّة، أو تقويم أحكامه واجتهاداته، فقد كان المبرّد يصرّح بأنّ هذا النّقد هو رأي للأخفش أو الجرمي أو المازني (المبرّد، المقتضب، ج1، ص96-98)، وجاء ابن جنّي المتوفى (392هـ)، وتحدّث عن هذه المسألة، مشيراً إلى ما أخذه المبرّد على سيبويه، وما انتصر له ابن ولاّد ، وكان يرى أنّ ما أخذه المبرّد على سيبويه في مسائل الغلط لا يلزم منها صاحبَ الكتاب إلّا النزر البسيط، وأنّ المبرد أخذها على سيبويه نزوة شابّ حادث وأنّه اعتذر من سيبويه (ابن جنّي (1990م)، (الخصائص، ج1، ص206)، ونصّ العلماء على ردّ المبرّد عنها في مرحلة لاحقة، وهذه مسألة نالت حظّها من الدرس عند عبدالخالق عضيمة.

لقد بيّن ابن جنّي في الفصل الذي عقده لسقطات العلماء شيئاً من مراحل تطور الحمل على الغلط في الدرس النّحويّ، فقد رُوي أنّ الأصمعيّ صحّف قولاً للحطيئة، وأنّ الفرّاء أخطأ في لفظٍ ، وأنّ أبا زيدٍ الأنصاريّ غلط في رواية بيت للأعشى، وثمّة مؤاخذات على أبي عُبيدة، وابن الأعرابيّ، وثعلب، وعلى المفضّل الضبيّ، وعلى الخليل وابن دريد. وفي الخصائص يردّ ابن جنّي بعض الاعتراضات ليرسي بذلك فن المؤاخذات والردود عليها (ابن جنّي، الخصائص، ج3، ص287-292).

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 28 3/6/16 11:44 AM

لقد حظي موضوع الغلط بدراسات حديثة منها: دراسة زهير سلطان الموسومة بـ(المؤاخذات النّحويّة حتى نهاية المئة الرابعة) منشورات جامعة قار يونس، وكتاب (الأحكام التقويمية في النحو العربي) لنزار الحميداوي، نشر عام 2011م، وأُعدت في جامعة مؤتة رسالة ماجستير عام 2013م بعنوان (ظاهرة الغلط في الدرس النّحويّ حتى نهاية القرن الرابع الهجري) لأحمد الزكي. وثمة بحث لي عن المخالفة الإعرابيّة في باب العطف بين الغلط والتأويل، مقبول للنشر في مجلة مجمع اللغة الأردنيّ عام 2014.وأشار إلى الغلط قاسم القواسمة في كتابه (طعن النحاة واللغويين في لغات العرب) المنشور 2012م، وكذلك جمعة المبروك في كتابه (المبرّد: حياته وآثاره ومنهجه من خلال كتابه المقتضب) المنشور عام 1988. وصباح السامرائي في كتابه: (الأحكام النوعيّة والكميّة في النحو العربيّ) المنشور عام 2012م.

وثمة إشارات واضحة في كتاب (حركة التصحيح اللغويّ) لمحمد رضا حمادي حول حركة الغلط واللحن في الدرس اللغويّ ، مع التركيز على جهود العلماء المعاصرين في دراسة اللحن وشيوعه حمّادي (1980م) (حركة التصحيح اللغويّ في العصر الحديث، ص 9-17). والقول نفسه مع محمود سليمان ياقوت في كتابه(التراكيب غير الصحيحة نحويّاً في الكتاب لسيبويه) إذ تحدّث ياقوت عن التراكيب النّحويّة غير الصحيحة عند سيبويه، وبيّن المصطلحات والتعابير التي استعملها في هذا الميدان (ياقوت، التراكيب غير الصحيحة نحويّاً في الكتاب لسيبويه، ص 15-45). لقد ركّز هذا البحث على تسليط الضوء على المبرّد، ومنهجه في التّغليط في كتابه (المقتضب)، وكشف تطوّر منهج النّقد اللغويّ عنده مقارنة بمن سبقه من النّحاة.

مفهوم الغلط والخطأ:

الغلط لغةً: أن تعيا بالشيء فلا يُعرف وجه الصَّواب فيه، وقد غلِط في الأمر يغلَط غلطاً، وأغلطه غيره، والعرب تقول: غلِط في منطقه، وغِلتَ في الحساب، غَلَطاً وغَلَتاً، وبعضهم يجعلهما بمعنى، وقال اللَّيث: الغلطُ كل شيءٍ يُعْيي الإنسان عن جهة صوابه من غير تعمُّد (ابن منظور ؛لسان العرب، ج7، ص363)، (غلط).

أمَّا الخطأ، فهو ضدّ الصَّواب، وقد أخطأ يخطئ إذْ سَلَكَ سبيل الخطأ عمداً وسَهْواً، وقيل: خطِئ إذا تعمَّد، وأخطأ إذا لم يتعمَّد، ويُقال لمن أراد شيئاً ففعَلَ غيره، أو فعَلَ غير الصَّواب: أخطأ (ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص66)، (خطأ).

إنَّ المعنى اللُّغوي يكادُ يكون مترادفاً ومتعاقباً في دِلالة الغلط والخطأ على مجانبة الصَّواب، بقصد أو دون قصد، على الرّغم من أنَّ بعض العلماء يفرِّق بين الغلط والخطأ دَلالةً، كما ذهب إلى ذلك أبو هلال العسكري في قوله: إنَّ الغلط هو وضْع الشيء في غير موضعه، ويجوز

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 29 3/6/16 11:44 AM

أن يكون صواباً في نفسه، والخطأ لا يكون صواباً على وجه (أبو هلال العسكري(2006م) الفروق اللُّغوية، ط4، ص81). وقد وسَّع ابن الحاجب (1983م) دائرة الغلط عندما قال: «إنَّ الغلط هو كلُّ ما خالفَ القياس واستعمال الفصحاء» (ابن الحاجب (1983م)، الإيضاح في شرح المفصَّل، ج2، ص182)، وهذا الرَّأي أخذ به عبد السَّلام هارون حدَّاً لهذا المصطلح (سيبويه، الكتاب، ص33، مقدِّمة المحقِّق).

وقد بيّن الجرجاني أنَّ الخطأ ما ليس للإنسان فيه قصد الجرجاني (2007م) التعريفات، (ص104)، وهذا يعني أنَّ الغلط مقصود، على العكس من الخطأ. ونصَّ التهاوني على أنَّ الخطأ هو «أن يقصد بفعله شيئاً، فيصادف غير ما قصَدَ» التهاوني، كشَّاف اصطلاحات الفنون، (ج2، ص3).

وقد انتهى الحميداوي (2011م) الذي ألَّف كتاباً في الأحكام التقويميّة في النَّحو العربي، إلى أنَّ الخطأ النّحويّ بوصفه حكماً نحويَّاً: «هو كل تركيب قصده النّحويّ متصوِّراً صحَّته، ولكنَّه لم يطابق ما ثبت عند النُّحاة» الحميداوي (2011م)، الأحكام التقويميّة في النَّحو العربي، (ص196).، وهذا تعريف قاصر؛ لأنَّ هنالك تراكيب واستعمالات لغويّة وصفت بالخطأ، وهي ليست أحكاماً من النُّحاة، بل استعمالٌ من عصر الاحتجاج؛ فالحكم بالغلط أو الخطأ يطالعنا بحقّ استعمال لغوي، أو حكم نحويّ.

إنَّ محاولة التفريق بين (الغلط) و (الخطأ) على المستوى النَّظري، وتحديد المفهوم مسألة لا نجد لها دليلاً على وجه الاستعمال، فالحكم بالغلط أو الخطأ يتعاقب في الدَّرس اللُّغوي دون تمييز بينهما مطلقاً، وعلى ذا يكون الخطأ واحداً من مرادفات الغلط، وهما من الأحكام التقويميّة المترادفة دَلالة في الدَّرس اللّغوي (أحمد رحمان (2013م)، ظاهرة الغلط في الدَّرس النَّحوي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص19-24).

شاعت الأحكام بالغلط أو الخطأ في الدَّرس اللُّغوي شيوعاً ارتقى بهذه القضايا إلى مستوى الظَّاهرة، وأصبح واحداً من العلل الشَّائعة في مصنَّفات النُّحاة، فالحكم بالغلط في كتاب سيبويه، تكرَّر ما يقارب (20) مرَّة، ومصطلح الخطأ تكرَّر (22) مرَّة، ومصطلح التَّوهُّم المراد به الغلط تكرَّر (9) مرَّات، وما أن تصل إلى أبي جعفر النَّحَّاس نجد أنَّ المصطلح (الغلط) يتجاوز (150) مرَّة في تكراره، ومثل ذلك مصطلح الخطأ الذي تجاوز تكراره مصطلح الغلط في الكتاب نفسه (إعراب القرآن).

وتنوَّعت مظاهر الحكم بالغلط في الدَّرس النّحويّ في ثلاثة مظاهر بارزة، هي:

الأول: الحكم بالغلط على الاستعمال اللُّغوي ممثَّلاً بالاستعمال الفصيح من لغة الاحتجاج، كالذي يطالعنا في قول سيبويه «واعلم أنَّ ناساً من العرب يغلطون فيقولون: إنَّهم أجمعون

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 30 3/6/16 11:44 AM

ذاهبون، وأنّك وزيد ذاهبان» (سيبويه، الكتاب، ج2، ص155)، أو من خلال وصف اللَّهجات بالغلط على النَّحو الذي يطالعنا في قول الخليل:«وربيعةَ تغلط فتقول: الذّكر للذَّكر، وهو اسم موضوع من الذِّكر» الفراهيدي (1405هـ)، (الخليل، كتاب العين. ج5، ص327، وانظر:النَّحَّاس (1972م)، إعراب القرآن، ص121، 661، 669).

ويدخل في هذا المظهر تغليط القراءات القرآنيّة، وهي مسألة بارزة وشائعة في الدَّرس اللُّغوي (عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج1، ص19)، وبرَّرها ابن جنيّ بضعف الرواية لا ضعف الأمانة؛ لأنَّ النّحويّين أضبط للقرآن من القُرَّاء (ابن جنيّ، الخصائص، ج1، ص73-74).

ثانياً: تغليط الأحكام اللُّغويّة، ويدخل في هذا الباب تغليط النُّحاة الآخرين، وردود النّحاة على بعضهم بعضاً، واتَّسعت دائرة هذا المظهر في القرن الرابع الهجري وما بعده، حتى عُدَّت الردود النّحويّة والاعتراضات مظهراً من مظاهر مناهج البحث اللُّغوي عند القدامى، ومن أمثلة هذا المظهر تغليط المبرِّد لسيبويه في حمله (عسى) على (لعلَّ) في قوله: «فأمَّا قول سيبويه: إنَّها تقع في بعض المواضع بمنزلة المضمر، فتقول: عساك وعساني، فهو غلط منه» المبرّد، المقتضب،ج3، 71-72.وانظر النص في : سيبويه : الكتاب،ج2، ص 375و376). ومن مظاهر ذلك تغليط السّيرافي للأخفش في مسألة العطف على عاملين لمعمول واحد (السيرافي (2008م)، شرح كتاب سيبويه، ج3، ص47)، وكذلك تغليط الزَّجَّاجي للسيرافي (الزَّجَّاجي، الإيضاح في علل النحو، 116)، وهذه مسألة شائعة في الدَّرس اللُّغوي.

ثالثاً: تغليط القياس النّحويّ: وهذا المظهر يبرز في المسائل التعليمية، ويرتبط بالقياس الخاطئ وتصويبه، وتصحيح التوجيهات اللُّغوية المبنيّة على أحكام غير دقيقة، وهذا برز عند النُّحاة المتأخِّرين أكثر من النُّحاة المتقدِّمين، وبرز هذا المظهر بكثرة عند المبرّد كما سنرى، ومن أمثلة ذلك قول الخليل: «والمسجدُ الجامعُ نعت به؛ لأنّه يجمع أهله، ومسجد الجامع خطأ بغير الألف واللام؛ لأنَّ الاسم لا يضاف إلى النعت، لا يقال: هذا زيد الفقيه» (الخليل، العين، ج1، ص240، (جمع)، وهي مسألة معروفة في الدرس اللغوي (عباس حسن، النحو الوافي، ج3، 40-41). ومنه أيضاً قوله: «والمسمَّى بِعَبَدَة والجزم فيها خطأ، إنَّما هو عَبَدَة على بناء سَلَمَة» (الخليل، العين، ج1، ص49)، (عبد).

ومنه قول المبرِّد: وكذلك قول من قال في جمع مصيبة: مصائب، إنَّما هو غلط، وإنَّما الجمع مصاوب؛ لأنَّ مصيبة مفعلة فعلى هذا يجري وما أشبهه (المبرّد، المقتضب، ج2، ص87). وهذا قول سيبويه (الكتاب، ج2، ص367).

لقد اتَّسعت دائرة الحكم بالغلط والخطأ في الدَّرس النّحويّ مع تقدُّم البحث اللُّغوي واتِّساع التأليف في النَّحو، ورافق هذا الاتِّساع تنوُّع في المصطلحات التي تؤدِّي معنى الغلط وترادفه

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 31 3/6/16 11:44 AM

دلالـة، وهـذا يدخـل فـي بـاب الأحـكام التقويميّـة التـي كان يصدرهـا اللُّغويـون بحـق النُّصـوص المستعملة؛ أي الأداء اللُّغـوي، أو بعـض الأحـكام اللُّغويـة للنُّحاة الآخرين، ومـن هذه المصطلحات اللَّحـن، والوهـم، والشُّـذوذ، والفاسـد، والقبيـح، والضَّعيـف، والمنكـر، وغيرهـا (انظـر: أحمـد رحمـان، ظاهـرة الغلـط، ص20-41).

الحكم بالغلط قبل المبرّد:

لقد تكـرَّر الحكم بالغلـط والخطـأ عنـد الخليـل فـي معجمـه (العيـن) مـا يقـارب خمسـين مـرّة، وتوزَّعـت هـذه الأحـكام بيـن الحكـم بالغلط على الاسـتعمال اللُّغوي نفسـه، وإنْ كان هذا الاسـتعمال مشـهوراً ومـن عصـر الاحتجـاج، ويدخـل فـي ذلـك بعـض مظاهـر اللَّهجـات العربيّـة التـي عَدَّهـا غلطـاً، والحكـم بالغلـط علـى بعـض التوجيهـات والتفسـيرات النّحويّـة لبعـض المسـائل، وكثيـر من المسـائل اللُّغويـة التـي حكـم عليهـا الخليـل بالغلـط ودخلـت فـي دائـرة الشُّـذوذ في مراحـل لاحقة من تطـوُّر الـدَّرس اللُّغـوي عنـد العرب.

تنوَّعـت الأحـكام اللُّغوية الصَّـادرة من الخليل بين المسـائل الصَّوتيـة والصَّرفية والنّحويّة والدِّلالية، ومـن أمثلـة هـذه الأحـكام قولـه: «فأمّـا قولـه: «فَمَـوان» فإنـه جعـل الـواو بـدلاً مـن الذاهبـةِ. فـإن الذاهبـةَ هـي هـاء وواو، وهُمـا إلـى جنـب الفاء ودخلَـتْ الميـمُ عِوضاً منهمـا. والواو فـي «فَمَوَين» دَخَلَـتْ بالغَلَـط، وذلـك أنَّ الشـاعر، يَـرَى ميمـاً قـد أُدخلـت فـي الكلمـة فيَرى أن السـاقطَ مـن «الفم» هـو بعـد الميـم فيُدخـل الـواو مـكانَ مـا يظُنُّ أنّه سـقَطَ منـه ويغلَطُ» (الخليـل، العيـن، ج1، ص51).

ومـن المسـائل الصَّوتيـة التـي حكـم عليهـا الخليـل بالغلـط قولـه: «ويُقـال علـوان الكتـاب، وأظنّـه غلطـاً، وإنَّمـا هـو عنـوان» (الخليـل، العيـن، ج2، ص247)، (علـو)، وهـذه مسـألة تدخـل في بـاب التبـادل الصَّوتـيّ بيـن الـلام والنّـون، كقولنا: جبريـل وجبرين، وإسـماعيل وإسـماعين، ولها نظائر كثيـرة ارتقـت إلـى مسـتوى الشُّـيوع والتبـادل المبـاح في العربيّـة، وهذا يعنـي أنَّ حكـم الخليل نابع مـن حـرصٍ علـى ذكـر الوجـه الأفصـح واسـتعمال الأكثـر شـيوعاً، ووصـف الاسـتعمال المتطوّر بالغلـط؛ لأنّـه خـرج على الاسـتعمال القياسـي الشَّـائع.

ومـن ذلـك قولـه: «وحلّيـت السَّـويقَ، ومـن العـرب مـن همزه، فقـال: حلأتُ السَّـويقَ، وهـذا غلط» (الخليـل، العيـن، ج3، ص295)، (حلـو)، ومسـألة إقحـام الهمز واختلاف اللَّهجـات العربيّة فيها لا تحتـاج إلـى مزيـد بحـث، وربَّمـا يقصد الخليـل من هذا الغلـط أنَّ وهم الهمز ووجـوده أصلاً في هذا اللفـظ هـو الغلـط، بمعنـى أنَّ الهمـزة مقحمـة وليسـت أصيلـة فيهـا، وإذا نطـق بهـا المتكلِّم مهموزة ظنَّـاً منـه أنَّهـا مهمـوزة فـي الأصل فهـذا هو الغلـط الذي قصـده الخليل.

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 32 3/6/16 11:44 AM

ومن المظاهر الصرفيّة التي غلّطها الخليل قوله:« قال بعضهم: رأيته يَنْعُمُ بنعمة، وهو غلط». (الخليل، العين، ج3، ص170)، (طلح). وقوله:« وأعْشَى ويَحْيَى مفتوحان في الجميع؛ لأنّهما على أَفْعَل ويَفْعَلَ فَيُقال: أَعْشَوْنَ ويَحْيَوْنَ، وقيل: هو خَطأ إنَّما هو عُشْوٌ» (الخليل، العين، ج1، ص100)، (عزه). وكذلك قوله:« وأعرضت كذا، وأعرضت بوجهي عنه، أي: صددت وحدت، وأعْرَضَ الشيء من بعيد، أي ظهر وبرز، تقول: النهر مُعْرِض لك، أي: موجود ظاهر لا يُمْنَعُ منه، ومُعْرَض خطأ» (الخليل، العين، ج1، ص272)، (عرض). وكذلك قوله: «وطريق مَهْيَعٌ، مَفْعَلٌ من التّهيُّعِ، وهو الانْبساطُ، ومن قال: فَعْيَل فقد أخْطأ، لأنّه ليس في كلام العرب فعيل إلا وصدرُه مكسورٌ نحو: حِذْيَم وعِثْيَر» (الخليل، العين، ج2، ص170)، (هيع). ومن أمثلة الجمع التي عدّها الخليل غلطاً قوله: « الحَبَشُ: جنْس من السُودان، وهم الحُبْشان والحَبْش، وفي لغة يقولون: الحَبَشِة على بناء سَفَرة، وهذا خطأ في القياس. لأنّك لا تقول: حابش كما تقول: فاسق وفَسَقة، ولكنّه سارَ في اللّغات، وهو في اضطِرار الشعر جائز» (الخليل، العين، ج3، ص98)، (حبش).

ومن المظاهر النّحويّة التي حملها الخليل على الغلط، قوله: «والكُنْية للرجل، وأهل البصرة يقولون: فلان يُكْنَى بأبي عبد الله، وغيرهم يقول: يُكْنَى بعبد الله، وهذا غلط، ألا ترى أنّك تقول: يسمى زيداً ويسمى بزيد، ويُكْنَى أبا عمرو، ويُكْنَى بأبي عمرو». (الخليل، العين، ج5، ص411)، (كني).

ومنه أيضاً قوله: البَيْتُوتةُ: دُخولُكَ في الليل، تقول: بِتُّ أصنَعُ كذا إذا كان الليل، وبالنَّهار ظَلِلتُ. ومن فَسَّرَ باتَ على النَّوم فقد أخطأَ، ألا تَرَى أنّك تقول: بِتُّ أراعي النُّجُوم، معناه: بتُّ أنظرُ إليها، فكيف نامَ وهو ينظر إليها؟ (الخليل، العين، ج8، ص138)، (بيت).

ومن المسائل الدّلالية التي حملها الخليل على الغلط قوله :« النَسُّ: السَّوْق اللطيف، ومن رَوَى «بَسّاً» فقد غلط. لأن البَسَّ من البَسيس، وهو دقيق يلتّ بالسمن أو الزيت ثم يستف» (الخليل، العين، ج4، ص211)، (نسس). ومثله تفسير بعض المعاني التي وردت في المعجم وتصحيح دلالاتها في الاستعمال كقوله:« شجع: الشَّجَع في الإبل: سُرعة نقْل القوائم. جمل شَجِعٌ، وناقةٌ شَجِعَةٌ. ويقال: شَجْعاء. ويقال: هو الذي يعتريه جنون من الإبل، وهو خطأ، إذ لو كان جنونا لما وصف به قوائمها. ومن قال: الأشجع: الممسوس من الرجال فقد أخطأ. لو كان كذلك ما مدحت به الشعراء» (الخليل، العين، ج1، ص20)، (شجع).

لعلّ المسائل الدّلالية التي حملها الخليل على الغلط من أكثر المسائل دوراناً في باب الغلط عنده، ومردّ ذلك منهج الخليل في تعاطيه مع توضيح المعنى وتصويب التفسيرات اللغويّة، وحرصه على بيان معاني الألفاظ يقول:« قال:

يا بِشْرُ لو لم أكُنْ منكم بمنزلةٍ الجَذَعُ ألقَى عليّ يديه الأُزْلَمْ

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 33 3/6/16 11:44 AM

صيرّ الدهَر أزْلَمَ لأنّ أحداً لا يقدرُ أن يكْدَحَ فيه. يقال: قِدْحٌ مُزَلَّمٌ، أي: مُسَوَّى، وفرسٌ مُزَلّمٌ إذا كان مُصَنّعًا، وقال بعضهم: الأَزْلَمُ الجَذَعُ في هذا البيت هو الأسد، وهذا خطأ إنّما هو الدّهر» (الخليل، العين، ج1، ص220)، (جذع). وهذا النمط شائع عند الخليل (انظر :الخليل، العين، ج1، ص288)، (عصد). وج 3، ص134(فحل)، وج4، ص186(خصل)، وص212(خزم) ، وج8، ص 138(بيت).

وما أن نصل إلى سيبويه حتى نجده أكثر صرامة في ردّ الاستعمالات اللغويّة للكلام العربيّ، وأكثر تمسكاً بالقياس الصارم والقاعدة المعياريّة، ولذلك لم يتورع عن تغليط المظاهر اللغويّة التي خالفت القياس من وجهة نظره، وأمثلة ذلك بيّنة في الكتاب منها: وقال الخليل رحمه الله: لا يقولون إلاَّ هذانِ جُحْرَا ضَبٍّ خَرِبانِ، من قِبَل أنّ الضبّ واحدٌ والجحر جُحْرانِ، وإنَّما يَغلطون إذا كان الآخِرُ بعدّة الأوّل وكان مذكَّراً مثلَه أو مؤنَّثًا ، وقالوا: هذه جِحرَةُ ضِبابٍ خَربةٍ، لأنّ الضَّبابَ مؤنَّثةٌ؛ ولأنّ الجِحرَةَ مؤنثٌة والعدّة واحدة فغَلِطوا ، وهذا قولُ الخليل رحمه الله ولا نُرَى هذا والأوَّلَ إلاّ سَواءً ؛لأنّه إذا قال :هذا جُحْرُ ضبٍّ مُتَهَدِمٍ، ففيه من البيان أنّه ليس بالضبِّ مثلُ ما في التثنية من البيان أنّه ليس بالضبِّ ، وقال العجَّاج (الديوان، رواية. ص 150) :

كأَنَّ نَسْيجَ العَنْكَبوتِ المُرْمَلِ

فالنّسجُ مذكَّر والعنكبوتُ أُنْثَى (سيبويه، الكتاب، ج1، ص437).. إنّ هذه المسألة معروفة في باب الحمل على الحوار، ولكنّ سيبويه حملها على الغلط.

ومن المسائل التي حملها على الغلط قوله:« واعلم أن ناساً من العرب يغلطون فيقولون: إنهم أجمعون ذاهبون وأنّك وزيد ذاهبان، وذاك أن معناه معنى الابتداء فيرى أنه قال: هم، كما قال : (ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائياً) على ما ذكرت لك ، وأما قوله عز وجل :« والصابئون» فعلى التقديم والتأخير كأنه ابتدأ على قوله ! « والصابئون » بعدما مضى الخبر». (سيبويه، الكتاب، ج2، ص155).

وهذه المسألة مشهورة في الخلاف النّحويّ في مسألة العطف على موضع إنّ قبل تمام الخبر (الأنباري، الإنصاف، ج1، ص185).

ومن المسائل التي غلّط فيه سيبويه الاستعمال اللغويّ قوله:« وهذه الكاف التى لحقت (رويداً) إنّما لحقت لتُبيّنَ المخاطَبَ المخصوصَ؛ لأنّ رُوَيْدَ تقع للواحد والجميع والذَّكر والأُنثى؛ فإنَّما أَدخل الكافَ حين خاف الْتباسَ مَنْ يَعنى بمن لا يعنى، وإنَّما حذفَها في الأوَّل استغناء بعلم المخاطبَ أنّه لا يَعني غيرَه؛ فلَحاقُ الكاف كقولك: يا فلانُ للرَّجُل حتَّى يُقْبِلَ عليك، وتركُها كقولك للرجل أنت تَفعلُ إذا كان مُقْبِلا عليك بوجهه مُنْصِتاً لك، فتركتَ يا فلانُ حين قلت أنت تَفعَلُ استغناءً بإقبالِه عليك، وقد تقول أيضاً: رُوَيْدَكَ لمن لا يُخاف أن يَلتبسَ بسِواه توكيداً، كما

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 34 3/6/16 11:44 AM

تقول للمقبِلِ عليك المُنْصِت لك: أنتَ تَفعلُ ذاك يا فلانُ توكيداً، وذا بمنزلة قول العرب: هاءَ وهاءَك وهأْه وهأْك، وبمنزلة قولك: حَيَّهَلَ وحَيَّهَلَكَ، وكقولهم: النَّجاءَك، فهذه الكاف لم تجئ علَماً للمأمورينَ والمنَهيّينَ المضمَرينَ، ولو كانت عَلَماً للمضمَرينَ لكانت خطأً» (سيبويه، الكتاب، ج1، ص244).

ومن ذلك أيضاً قوله: (سيبويه، الكتاب، ج4، ص160): وزعم أبو الخطاب أن ناساً من العرب يقولون: ادعه من دعوت فيكسرون العين، كأنها لما كانت في موضع الجزم توهموا أنها ساكنة؛ إذ كانت آخر شيء في الكلمة في موضع الجزم؛ فكسروا حيث كانت الدال ساكنة؛ لأنّه لا يلتقي ساكنان كما قالوا: ردّ يا فتى، وهذه لغة رديئة وإنما هو غلطٌ كما قال زهير، الديوان(1408هـ/1988م)، ص140:

بدا لِي أنّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى ولا سَابِقٍ شيئاً إذا كَان جائيا

إنّ كثيراً من مسائل الغلط تابع فيها سيبويه من قبله من العلماء مثل يونس والخليل، وبعضها تابعهم فيها المبرّدُ، وكان مبعث الحمل على الغلط التمسك بالقاعدة القياسيّة، وبرز منحى جديد في التغليط عند سيبويه، تمثّل في تغليط الاجتهادات الاستعماليّة فكان يقول: ولو قلت كذا لكان غلطا، كما في قوله:« وإذا حقّرت عدويٌ اسم رجل أو صفة قلت: عديٌ بأربع ياءات لا بدّ من ذا، ومن قال: عدويٌ فقد أخطأ» (سيبويه، الكتاب، ج3، ص474).

ومن الجدير بالذكر أنّ سيبويه نصّ على الغلط في مسائل أسندها إلى يونس، فهو يقدّم لنا منحى يونس في الحمل على الغلط، وكان سيبويه يوافقه فيها أحياناً (سيبويه، الكتاب، ج1، ص435، وص 441، ج2، ص77، ج 3، ص119).، والقول نفسه في بعض المسائل التي ردّها إلى الخليل في النصّ على الغلط فيها (سيبويه، الكتاب، ج1، ص437، ج2، ص77).

وثمّة مواضع حُملت على الغلط عند الأخفش المتوفى(215هـ) في كتابه (معاني القرآن) ولكنها كانت قليلة قياساً بسيبويه، إذ لم يتكرر مصطلح الغلط واللحن إلاّ في مواضع يسيرة، منها: تغليط فتح همزة (إنّ) في قوله تعالى(ذَلِكُم وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الكَافِرِيْنَ) (سورة الأنفال، آية:18) وقد علّق الأخفش على ذلك بقوله: فإنما كسر «إنَّ» لدُخول اللام. قال الشاعر:

وَأَعْلَمُ عِلْماً ليسَ بالظنِّ أَنَّه إذا ذَلَّ مَوْلَى المَرْءِ فَهْوَ ذَليل

وإنَّ لِسانَ المَرْءِ ما لَمْ تَكُنْ لهُ حَصاةٌ على عَوْراتِهِ لَدَليلُ

فكسر الثانية لأنّ اللام بعدها. ومن العرب من يفتحها لأنّه لا يدري أنّ بعدها لاماً، وقد سُمع مثل ذلك من العرب في قوله تعالى: (أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ {9} وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ {10} إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ {11}) ففتح وهو غير ذاكرٍ للام وهذا غلطٌ قبيحٌ

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 35 3/6/16 11:44 AM

(الأخفش الأوسط، معاني القرآن، ج1، ص347).

وقد عدّ الأخفش مسائل من باب الغلط مجارياً فيها من سبقه من العلماء مثل إسكان الهمز في قوله تعالى: (بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ) (سورة البقرة، آية:54). فانتصب {الْعِجْلَ} لأنّه مفعول به، تقول: «عجبت من ضربِكَ زيداً». وقوله {بَارِئِكُمْ} مهموز لأنّه من «برأ اللّهُ الخلقَ» «يَبْرأُ» «بَرْءاً». وقد قرأ بعضُهم هذه الهمزة بالتّخفيف فجعلها بين الهمزة وبين الياء. وقد زعم قوم أنّها تجزم، ولا أرى ذلك إلاّ غلطاً منهم، سمعوا التّخفيف فظنّوا أنّه مجزوم، والتّخفيف لا يفهم إلا بمشافهة، ولا يعرف في الكتاب. ولا يجوز الإسكان، إلا أن يكون أسكن وجعلها نحو «عَلْمَ» و«قَدْ ضُرْبَ» و«قَدْ سَمْعَ» ونحو ذلك (الأخفش (1979م)، معاني القرآن الكريم، ط1، ج1،ص 64).

واستعمل الأخفش اللحن للتعبير عن الغلط في قوله: وقال: (وَمَآ أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) (سورة إبراهيم، آية:22). فتحت ياء الإضافة، لأنّ قبلها ياء الجميع الساكنة التي كانت في «مُصْرِخِيَّ» فلم يكنْ منْ حَرَكَتِها بدٌّ؛ لأَنّ الكسر من الياء. وبلغنا أنّ الأعمش قال: (بِمُصْرِخيِّ) فكسروا. وهذه لحن لم نسمع بها من أحد من العرب، ولا أهل النحو (الأخفش، معاني القرآن الكريم، ج2،ص 59. وانظر: ج1، ص212، وج3.ص32). وقال أيضاً: وقال (وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ) لأنّها من «لَوى» «يَلْوِى». وقال بعضهم {وإنْ تَلْوا} فإن كانت لغة فهو لاجتماع الواوين، ولا أراها إلاّ لحناً، إلاّ على معنى «الوِلاية» وليس لـ«الوِلايَة» معنى ها هنا إلا في قوله «وإنْ تَلْوا عَلَيْهِم» فطرح {عَلَيْهِم} فهو جائز(الأخفش، معاني القرآن، ج1،ص 212. وانظر: ج3.ص32).

مظاهر الحمل على الغلط عند المبرّد:

تنوَّعت مظاهر الحمل على الغلط عند المبرّد بين وصف بعض مظاهر الاستعمال اللُّغوي الفصيح بالغلط ممثَّلاً بكلام العرب والقراءَات واللَّهجات، وبين تغليط العلماء وردّ توجيهاتهم والاعتراض عليها، وتغليط القياس النّحويّ الذي يدخل في باب النَّحو التعليميّ القائم على توجيه المتكلِّم إلى القياس الصَّحيح وتجنُّب الخطأ. وتنوَّعت مصطلحات المبرّد بين الغلط، والخطأ، واللَّحن، والفاسد، وقد أدخل ابن السَّرَّاج الشُّذوذ في بعض مظاهره في باب الغلط عند المبرّد في قوله: «واعلم أنَّ الذين حُكي من قولهم: (لولاي)، و (لولاك) شيء شذّ عن القياس كان عند شيخنا (المبرّد) يجري مجرى الغلط» (ابن السَّرَّاج (1987م)، الأصول في النَّحو، ج2، ص124. وانظر: المبرد؛ المقتضب، ج2ص 76). ولعلّ مظاهر الحمل عند المبرّد تتمثّل فيما يلي:

1. تغليط الاستعمال اللُّغوي واللَّهجات:

لقد برزت مظاهر تغليط الاستعمال مبكّراً في النَّحو عند الخليل وسيبويه، وانتقلت إلى

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 36 3/6/16 11:44 AM

المبـرّد، يقـول فـي الاعتـراض علـى جمـع (مُفْعِلـة) علـى (فَعَائِـل): «فأمـا معيشـة فـلا يجـوز همـز يائهـا؛ لأنّهـا فـي الأصـل متحركـة، فإنّمـا تردّ إلـى ما كان لهـا، كما ذكرت لـك في صدر البـاب. فأمّـا قـراءة مـن قـرأ معائـش فهمـز فإنـه غلـط، وإنمـا هـذه القـراءة منسـوبة إلـى نافـع بـن أبـي نعيـم، ولـم يكـن لـه علـم بالعربيّـة، ولـه في القـرآن حـروف وقد وقـف عليهـا. وكذلك قـول مـن قـال فـي جمـع مصيبـة: مصائب إنّما هـو غلط، وإنّمـا الجمع: مصـاوب، لأن مصيبة مُفْعِلـة، فعلـى هـذا يجـري ومـا أشـبهه» (المبـرّد، المقتضـب، ج1، ص261).

وهـذه مسـألة سـبقه إليهـا الخليـل وسـيبويه، وفسّـرت بقانـون القيـاس الخاطـئ لاحقـاً، وكذلـك بالتحذلـق فـي الهمـز، أو همـز مـا يهمـز توهُّمـاً، والقـراءَات التـي حملـت على هـذا المظهر كثيـرة ربَّمـا أسـهم فيهـا تفـاوت القبائـل فـي مسـألة الهمـز وعدمه.

وفـي موضـعٍ آخـر يغلّـط المبـرّد اسـتعمالاً لغويـاً لقبيلـة معروفـة، وهـي بكـر بن وائـل، يقول: « ويجـوز الحـذف، ويكـون حسـناً يختـاره أكثـر النـاس، كمـا كان فـي المخاطبيـن، إلا أنّـه يجـوز أن تكسـر الهـاء إذا كان قبلهـا كسـرة، أو يـاء. فتقـول: مـررت بهمي، ونزلـت عليهمي. ومـن حـذف قـال: مـررت بهـم، ونزلـت عليهـم. وإنّما جاز هـذا في الهـاء، لخفائهـا كما ذكرت لـك فـي الواحـد، ومنهـم مـن يكسـر الهـاء لخفائهـا ويـدع مـا بعدهـا مضمومًـا لأنّـه ليـس مـن الحـروف الخفيّـة. فيقـول: مـررت بهمـو، والإتبـاع أحسـن، وهـو أن يقـول: مـررت بهمـي، ونزلـت عليهمـي. ونـاس مـن بكـر بـن وائل يجـرون الـكاف مجرى الهـاء، إذا كانت مهموسـة مثلهـا وكانـت علامـة إضمـار كالهـاء، وذلـك غلـط منهـم فاحـش، لأنّهـا لم تشـبهها فـي الخفاء الـذي مـن أجلـه جـاز ذلـك فـي الهـاء» (المبـرّد، المقتضـب، ج1، ص269).

إنَّ هـذا النَّمـط اللّهجـي لبكـر بن وائل واسـع الشُّـيوع؛ لأنَّ القبائل التي تتفرع مـن بكر معروفة بكثرتهـا، ولعـلَّ الخليـل غلّـط هذا الأداء لانتفاء أسـباب المشـابهة الصَّوتية بين الـكاف والهاء، غيـر أنَّ عـدم هـذه المشـابهة عنـد بكر لا تعني شـيئاً أمام اسـتعمالهم الذي شـاع واطّرد.

ومـن مظاهـر الغلـط عنـد المبـرّد الـذي ردَّ فيه اسـتعمالاً شـائعاً قولـه: « و قد يقـال في فرزدق: فـرازق، وليـس ذلـك بالجيّد؛ وذلـك لأنّ الدال من مخرج التّاء. والتّاء مـن حروف الزيادة. فلما كانـت كذلـك، وقربـت مـن الطـرف حذفوهـا. فمـن قـال ذلـك لـم يقل فـي جحمـرش: جحارش؛ لتباعـد الميـم مـن الطـرف. فهـذا يجـري مجرى الغلـط. والبـاب ما ذكـرت لـك أولاً» (المبرّد، المقتضب، ج2، ص228).

ويدخـل فـي هـذا النمـط مـن التغليـط تغليـط القـراءات القرآنيّـة وقـد غلّـط المبـرّد قـراءة أهـل المدينـة فـي موضـع، وقـراءة ابـن مـروان الـذي لا علم لـه بالعربيّـة كما نعتـه المبـرّد، وكذلك قـراءة يعقـوب الحضرمـيّ (المبـرّد، المقتضـب، ج2، ص134.و ج4، ص 105).

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 37 3/6/16 11:44 AM

2. تغليط النُّحاة:

برز في الدَّرس اللُّغوي مظهر في التغليط يقوم على تغليط النُّحاة بعضهم بعضاً، وهي مسألة تدخل في صراع الأقران حيناً، واختلاف المذهب النّحويّ أحياناً، ومبرِّرها عدم اتفاقهم في التوجيهات والتأويلات، وبروز مسألة الردود النّحويّة التي اتَّسعت في مرحلة لاحقة لتصل مرحلة من الاعتراضات التي شاعت في الدَّرس النّحويّ، وربَّما كان هذا غير شائع في القرنين :الأول والثاني، ولكنَّه غدا من معالم الدَّرس اللّغُويّ في القرن الثالث وما بعده.

ومن أمثلة هذا المظهر عند المبرّد ما يلي:

أ- تغليط يونس: نعت المبرّد قول يونس في إثبات النون في فعل الاثنين وجماعة النسوة، يقول المبرّد: « وكان يونس بن حبيب يرى إثباتهما في فعل الاثنين وجماعة النسوة، فيقول: اضربان زيدًا، وللنساء: اضربنان زيدًا، فيجمع بين ساكنين، ولا يوجد مثل هذا في كلام العرب إلا أن يكون الساكن الثاني مدغماً والأول حرف لين، وقد مضى تفسير هذا. فإذا وقف يونس ومن يقول بقوله قال للاثنين: اضربا، وللجماعة من النساء: اضربنا، وإذا وصل فعل الاثنين قال: اضربان الرجل. وهذا خطأ على قوله، وإنما ينبغي على قياس قوله أن يقول: اضرب الرجل. فيحذف النون؛ لأنّها تحذف لالتقاء الساكنين، كما ذكرت لك في أول الباب، ثم تحذف الألف التي في اضربا لعلامة التثنية؛ لأنّها أيضاً ساكنة، فيصير لفظه لفظ الواحد إذا أردت به النون الخفيفة، ولفظ الاثنين بغير نون إذا حذفت ألفها لالتقاء الساكنين.» (المبرّد، المقتضب، ج2، ص24. وسيبويه، الكتاب،ج157،2).

وغلّط المبرّدُ يونس في إلقاء علامة الندبة على النَّعت، على الرّغم من أنَّ هذه المسألة يجيزها مذهب نحوي، وأيَّده الاستعمال اللُّغوي في المسألة المعروفة في الخلاف النّحويّ (الأنباري، الإنصاف، ج1، ص311)، يقول المبرّد: « وكان يونس يجيز أن يلقي علامة الندبة على النعت فيقول: وازيد الظريفاه، وازيداه أنت الفارس البطلاه. وهذا عند جميع النّحويّين خطأ؛ لأن العلامة إنما تلحق ما لحقه تنبيه النداء لمد الصوت، والنعت خارج من ذا » (المبرّد، المقتضب، ج4، ص375).

وقد وصف المبرّد هذا المذهب بأنَّه غلط بإجماع النُّحاة وربما يقصد النُّحاة البصريِّين؛ لأنَّ المذهب أو المدرسة الكوفية تجيز هذا الاستعمال وتحتجّ له. (الأنباري، الإنصاف، ج1، ص311).

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 38 3/6/16 11:44 AM

ب ـ تغليط سيبويه: من المعالم البارزة عند المبرّد في المسائل التي حملها على الغلط تغليط سيبويه، وهذه المسألة تكشف منهج المبرّد في التدقيق والتحليل وعدم اقتفاء آراء سابقيه دون تمحيص، وتبرز مكانته العلمية وقدرته على إبراز شخصيته التي تركت أثراً بالغاً في الدَّرس النّحويّ. وقد بلغت المسائل اللغوية التي نقد فيها المبرّدُ سيبويه (131) مسألة، وهي المسائل التي شكّلت فيما بعد مسائل الغلط المعروفة، وكانت مادة أساسيّة في كتاب(الانتصار) لابن ولّاد، وقد غلّط المبرّدُ سيبويه تغليطاً شديداً في بعض المواضع (ابن ولاد، الانتصار، ص151). وعبّر عن ذلك بعبارات ومصطلحات شتّى. ومن ذلك مسألة إعمال (عسى) عمل لعلَّ مع المضمر، وهي مسألة مشهورة في النَّحو، ويجيزها الاستعمال الفصيح، وربما يدخل قول المبرّد في تغليط سيبويه في هذه المسألة في باب قصور المبرّد عن الإحاطة باللُّغة واستعمالاتها، يقول المبرّد: فعسى فعلٌ ومجازها ما ذكرت لك. فأما قول سيبويه: إنها تقع في بعض المواضع بمنزلة لعل مع المضمر فتقول: عساك وعساني، فهو غلطٌ منه؛ لأن الأفعال لا تعمل في المضمر إلا كما تعمل في المظهر (المبرّد، المقتضب، ج3، ص71-72).

والحقيقة أنَّ سيبويه أقرب إلى الدقة من المبرّد؛ لأنَّ الأول استند إلى شواهد فصيحة في قول الشاعر: يا أبت علّك أوعساكا، وقول عِمْران بن حِطَّان: «تنازِعُني لعلّي أو عساني» (عبد السلام هارون(1972م)، معجم شواهد العربية، ج1، ص406؛ ج2، ص513).

وفي موضعٍ آخر يغلّط المبرّدُ سيبويه بقوله: « فأما الأخفش فيقول: يديٌّ، ويديي، ويقول: أصلُ يدٍ فعل، فإن رددت ما ذهب رجعت بالحرف إلى أصله. فهذا قوله في كل هذا. وسيبويه وأصحابه يقولون: رددنا إلى حرف قد لزمه الإعراب لجهد الاسم؛ فلا يحذف ما كان يلزمه قبل الرد. وسيبويه يزعم أن دما فعل في الأصل، وهذا خطأ؛ لأنّك تقول: دمي يدمى فهو دمٍ» (المبرّد، المقتضب، ج3، ص153).

وهذه مسألة بالغ المبرّد في نعت سيبويه فيها بالغلط؛ لأنَّ (دما) تنازعت الواو والياء، أي يقال: دميان، ودموان، وعدّ (الدميان) شاذاً سماعاً، غير أنَّه أدخل في باب المعاقبة بين الواو والياء (ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص265)، (دمي).

ج- تغليط الأخفش: يقول المبرّد: وكان الأخفش يجيز: اسل زيدا؛ لأنّ السّين عنده ساكنة لأن الحركة للهمزة. وهذا غلط شديد؛ لأنّ السّين متصرفة كسائر الحروف؛ وألف الوصل لا أصل لها، فمتى وجد السبيل إلى إسقاطها سقطت، واللام مبنية على السكون لا موضع لها غيره. فأمرها مختلف. ولذلك لحقتها ألف الوصل مفتوحة مخالفةً لسائر الألفات. (المبرّد، المقتضب، ج1، ص389).

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 39 3/6/16 11:44 AM

3. **تغليط آراء النُّحاة دون تخصيص:** تطالعنا في المقتضب مظاهر متعدِّدة لتغليط توجيهات النُّحاة وآرائهم دون تحديد نحويٍّ بعينه، ويدخل هذا الموضوع في منهج المبرّد في الاعتراض على التوجيهات النّحويّة، ومنهجه في التقدير والتأويل والقياس، وفي هذا المظهر نجد ردوداً على آراء نحويّة دون أن يسندها المبرّد إلى نحويّ بعينه، ومن أمثلة ذلك: « و قد يقال في فرزدق: فرازق، وليس ذلك بالجيد؛ وذلك لأن الدال من مخرج التاء. والتاء من حروف الزيادة. فلما كانت كذلك، وقربت من الطرف حذفوها. فمن قال ذلك لم يقل في جحمرش: جحارش؛ لتباعد الميم من الطرف. فهذا يجري مجرى الغلط. والباب ما ذكرت لك أولاً» (المبرّد، المقتضب، ج2، ص228).

ومن ذلك قوله :« من العرب من يقول في الفرزدق: فريزق. وليس ذلك بالقياس، إنّما هو شبيه بالغلط؛ وذلك لأنّ التاء من حروف الزيادة، والدّال من موضعها. فلمّا كانت طرفاً، وكانت أشبه ما في الحرف بحروف الزيادة حذفتها» (المبرّد، المقتضب، ج2، ص247).

ومنه تغليط التوجيهات النّحويّة لبعض الشواهد دون أن يحدّد صاحب التوجيه كما في قوله: «فأمّا قول الفرزدق:

فأصبحوا قد أعادَ اللهُ نعمتَهم إذ هُم قريشٌ وإذ ما مثلَهم بشرُ

فالرفع الوجه، وقد نصبه بعض النّحويّين، وذهب إلى أنه خبر مقدم، وهذا خطأ فاحش وغلط بين. ولكن نصبه يجوز على أن تجعله نعتاً مقدماً، وتضمر الخبر. فتنصبه على الحال. مثل قولك: فيها قائماً رجل، وذلك أن النعت لا يكون قبل المنعوت، والحال مفعول فيها، والمفعول يكون مقدماً ومؤخراً، وقد فسرنا الحال بالعامل إذا كان فعلاً، وإذا كان على معنى الفعل بما يستغنى عن إعادة القول فيه» (المبرّد، المقتضب، ج4، ص191-192).

ومثله تعليق المبرد على مسألة الرفع بعد أدوات الشرط في الاشتغال؛ كقوله: اعلم أن المفعول إذا وقع في هذا الموضع، وقد شغل الفعل عنه انتصب بالفعل المضمر، لأنّ الذي بعده تفسير له؛ كما كان في الاستفهام في قولك: أزيداً ضربته،وقوله تعالى: (فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ) (سورة القمر: 24). وذلك قولك: إن زيداً تره تكرمه، ومن زيداً يأته يعطه، وإنْ زيداً لقيته أكرمته، وكذلك إذا لأنّها لا تقع إلا على فعل. تقول: إذا زيداً لقيته فأكرمه، قال (للنمر بن تولب، انظر: شعراء إسلاميون، 1982 ، تحقيق نوري حمودي القيسي. ص72):

لا تَجْزعي إنْ منفِساً أهلكتـه وإذا هلكتُ فعندَ ذلكَ فاجزعي

وقال الآخر(ذو الرمة؛(1982م)، الديوان، ص 1042):

إذا ابنَ أبي موسى بِلالاً بلغتِه فقام بفأسٍ بين وصلَيكِ جازرُ

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 40 3/6/16 11:44 AM

ولو رفع هذا رافعٌ على غير الفعل لكان خطأ، لأنّ هذه الحروف لا تقع إلا على الأفعال. ولكن رفعه يجوز على ما لا ينقض المعنى، وهو أن يضمر بلغ، فيكون إذا بلغ ابن أبي موسى. وقوله: بلغته إظهارٌ للفعل وتفسيرٌ للفاعل.

وكذلك: لا تجزعي إن منفسٌ أهلكته على أن يكون المضمر هلك (المبرّد، المقتضب، ج2، ص75).

ويدخل في هذا تغليط مذهب نحوي كامل على النحو الذي غلّط فيه المبرد المذهب الكوفي في مسألة جزم فعل الأمر؛ يقول:« وقد كان قوم من النّحويّين يزعمون أن هذا مجزوم، وذلك خطأ فاحش؛ وذلك لأنّ الإعرابَ لا يدخلُ من الأفعال إلا فيما كان مضارعاً للأسماء» (المبرّد، المقتضب، ج2، ص131).

4. **تغليط القياس النّحويّ (التغليط التعليمي):** هذا النوع من الغلط من أبرز المواضع في كتاب (المقتضب)، ويردُّ فيها المبرّد قياسات نحويّة يراها غلطاً، وتوجيهات لشَّواهد عدّها توجيهات خاطئة، وكأنَّ المبرّد يريد أن يوجِّه المتكلِّم إلى القياس الصَّواب على أسلوب: قلْ ولا تقلْ.

ومن أمثلة ذلك قوله:« فأمّا قولك: رويدك زيدا فإن الكاف زائدة، وإنما زيدت للمخاطبة، وليست باسم، وإنما هي بمنزلة قولك: النجاءك يا فتى، وأريتك زيدًا ما فعل؟، وكقولك: أبصرك زيداً. إنّما الكاف زائدة للمخاطبة، ولولا ذلك كان النجاءك محالاً؛ لأنّك لا تضيف الاسم وفيه الألف واللام، وقوله عز وجل: «أرأيتك هذا الذي كرمت علي» قد أوضح لك أن الكاف زائدة. ولو كانت في رويدك علامةً للفاعلين لكان خطأ إذا قلتَ: رويدكم؛ لأنّ علامة الفاعلين الواو؛ كقولك: أرودوا» (المبرّد، المقتضب، ج3، ص246).

ومنه أيضاً قوله في مسألة فاعل اسم التفضيل، يقول: ولو قلت: ما رأيت رجلاً أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد، كنت قد فصلت بين الكحل وما هو له بما ليس من الكلام، ووضعته في غير موضعه. فإن أخرت الكحل، فقلت: ما رأيت رجلاً أحسن في عينه منه في عين زيد الكحل وأنت تقدر أنّ أحسن هو الابتداء، كان خطأ لما قدمت من ضمير الكحل قبل ذكره (المبرّد، المقتضب، ج3، ص283).

ومنه قوله: زعم الخليل أنّه لمّا قال: انتهوا، علم أنّه يدفعهم عن أمر، ويغريهم بأمر يزجرهم عن خلافه، فكان التقدير: ائتوا خيراً لكم. وقد قال قوم: إنّما هو على قوله: يكن خيراً لكم. وهذا خطأ في تقدير العربية؛ لأنّه يضمر الجواب ولا دليل عليه، وإذا أضمر ايتوا فقد جعل انتهوا بدلاً منه، وكذلك انته يا فلان أمراً قاصداً (المبرّد، المقتضب، ج3، ص283).

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 41 3/6/16 11:44 AM

ومن هذا النمط في التغليط ما ذكره المبرّد في باب إضافة المعرّف بأل التعريف، يقول: اعلم أن قوماً يقولون: أخذت الثلاثة الدراهم يا فتى، وأخذت الخمسة عشر الدرهم. وبعضهم يقول: أخذت الخمسة العشر الدرهم، وأخذت العشرين الدرهم التي تعرف. وهذا كلّه خطأ فاحش» (المبرّد، المقتضب، ج2، ص172). وهذه من المسائل الخلافيّة بين النحاة (الأنباري، الإنصاف، ج1، ص286).

الخاتمة:

تبيَّن من الدراسة أنَّ الحمل على الغلط مظهرٌ برز مبكّراً في الدَّرس النّحويّ عند الخليل، ثمَّ تطوَّر واتَّسعت دائرته عند سيبويه، ثمَّ نحى منحىً منهجياً عند المبرّد لاحقاً، فقد كان الغلط موجَّهاً إلى استعمالات لغويّة من النّثر والقراءات والشّعر واللهجات، ثمَّ تطوَّر إلى تغليط العلماء بعضهم بعضاً، ثمَّ تطوَّر إلى مرحلة الاعتراضات، ولعلَّ الحمل على الغلط هو الصورة الأولى لفن الاعتراضات النّحويّة التي غدت معلماً بارزاً في النَّحو العربي.

لقد برز الحمل على الغلط عند المبرّد في أربعة أنماط: تغليط الاستعمال اللُّغوي الفصيح، وتغليط العلماء، وتغليط الآراء النّحويّة دون تحديد صاحبها، ثمَّ تغليط القياس النّحويّ الذي يقصد به تعليم الآخرين. ولأنّ مسائل الغلط التي حملها على سيبويه طغت على غيرها من المسائل، وشاعت في الدرس اللغويّ بعد انتصار ابن ولاّد لسيبويه مما شكل ذلك مرحلة من مراحل نشوء فن الاعتراضات النّحويّة.

وربما كان في بعض المواضع تحامل من المبرّد على اللُّغة والاستعمال اللُّغوي، أو تحامل على النُّحاة؛ وهو تحامل نابع من شخصية المبرّد نفسه في النَّحو، إذ لم يكن مقلِّداً أو تابعاً لغيره، بل تميَّز بشخصية علميّة تركت ظلالها على الدَّرس النّحويّ من بعده.

إنَّ الحمل على الغلط في النَّحو العربي ظاهرة بدأت بواكيرها منذ نشأة النحو، وبرزت مظاهره جليّة عند الخليل، وارتقت في تطورها إلى ظهور المغالطات والاعتراضات النّحويّة، وتكشف في بعض جوانبها تمسُّك العلماء بمعيارية القياس النّحويّ الصَّارم، وهذا واضحٌ في بعض المسائل التي حملها المبرّد على الغلط أو الخطأ، وقد استعمل العلماء مصطلحات شتَّى وهم يعبِّرون عن هذا الغلط، مثل: الخطأ الذي تكرر (23) مرة في (المقتضب)، والقبيح الذي تكرر(9) مرات، والفاسد الذي تكرر(4) مرات، والمحال الذي تكرر(32) مرة، وغير ذلك من المصطلحات الدالة على الرفض.

ويعدّ المبرّد من أوائل العلماء الذين أرسوا كياناً لفن الاعتراضات النّحويّة، وهو يشكل بذلك مرحلة في غاية الأهميّة من مراحل تطوّر المؤاخذات النّحويّة. واختلف عن سابقيه في منهجية التغليط.

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 42 3/6/16 11:44 AM

المصادر والمراجع:

الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة(ت 215هـ)، معاني القرآن، تحقيق هدى قراعة، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة.

الأخفش(1979م)، سعيد بن مسعدة(ت215هـ) ، معاني القرآن الكريم، تحقيق: فائز فارس، المطبعة العصريّة، الكويت، العامة، ط1.

الأنباري، أبو البركات عبد الرَّحمن بن محمَّد (ت577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمَّد محي الدِّين عبد الحميد، دار إحياء التراث، القاهرة.

التهانوي، محمَّد علي، (ت1158هـ)، كشَّاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: أحمد حسن، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2.

ابن جنّي (1990 م)، أبو الفتح عثمان، ت(392هـ) الخصائص، تحقيق محمّد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

ابن الحاجب(1983م)، (ت646هـ)، الإيضاح في شرح المفصَّل، تحقيق: موسى العليلي، مطبعة العاني، بغداد.

حمّادي(1980م)، محمد ضاري، حركة التصحيح اللغويّ في العصر الحديث، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

الحميداوي(2011 م)، نزار بنيان، الأحكام التقويميّة في النَّحو العربي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2.

الزَّجَّاجي، أبو القاسم عبد الرحمن، (ت337هـ)، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، منشورات الرضا. قُم، ط2.

الزكي (2013م)، أحمد رحمان، ظاهرة الغلط في الدَّرس النَّحوي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة.

السامرائي(2012م)، صباح علاوي، الأحكام النوعيّة والكميّة في النحو العربيّ، دار مجدلاوي للطباعة والنشر، عمّان، ط1.

ابن السَّرَّاج(1987م، أبو بكر، (ت316هـ)، الأصول في النَّحو، تحقيق: عبد الحسين الفتيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2.

سلطان(1994م)، زهير عبد المحسن المؤاخذات النحويّة حتى نهاية المئة الرابعة الهجريّة، منشورات جامعة قار يونس، ط1، بيروت.

السيرافي (2008م)، أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السميع سلامة وأشرف محمَّد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

سيبويه، عثمان بن قنبر، (ت180هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السَّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومطبعة دار الجيل، بيروت، ص33، مقدِّمة المحقِّق.

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 43 3/6/16 11:44 AM

عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط8.

عبد السلام هارون(1972م)، معجم شواهد العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1.

عضيمة، محمّد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة.

الفراهيدي(1405هـ)، الخليل بن أحمد (ت175هـ): معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران.

القواسمة (1433هـ/2010م)، قاسم خليل، طعن النحاة واللغويين في لغات العرب،دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1 عمّان.

المبرّد(1386 هـ)، أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد، (ت285هـ)، المقتضب، تحقيق عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ط2.

المبروك (1988م) ، جمعة عون، المبرّد: حياته وآثاره ومنهجه من خلال كتابه المقتضب، معهد الإنماء العربيّ، بيروت.

ابن منظور، جمال الدين بن مكرم (ت711هـ) لسان العرب،دار صادر، بيروت

النَّحَّاس(1972م)، أبو جعفر أحمد بن محمَّد، (ت338هـ)، إعراب القرآن، تحقيق: زهير زاهد، عالم الكتب، ط1، بيروت.

أبو هلال العسكري (2006 م) الحَسَن بْن عَبْد الله، (ت395هـ)، الفروق اللُّغوية، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط4.

ابن ولاّد (1416هـ/1996م)، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد، (ت332هـ)، الانتصار لسيبويه على المبرّد، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

ياقوت، محمود سليمان، التراكيب غير الصحيحة نحويّاً في الكتاب لسيبويه، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندرية.

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 44 3/6/16 11:44 AM

Aspects of Judging Grammatical Errors in Al-Mubarrad's *Al Mughtathib*

Saif aldain T. Alfugara

College of Arts - Mutah University

Karak - Jordan

Abstract

This paper investigates a few issues related to the concept of grammatical errors in al-Mubarrad's *Al Mughtathib*. I also study that concept earlier in al-Khalil's Kitab *Al-'Ayn* and also *Sībawayh's Kitab*. Grammatical errors are then studied in more detail among philologists, linguists, and also al-Mubarrad's corrections of general usage. The paper concludes with the idea that judging grammatical error is one of the manifestations of a rigorous grammatical mind.

Keywords: Grammar error, *Al Mubarid, Al Mughtathib*.

□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□.indd 45 3/6/16 11:44 AM